اجراه: هشام نفاع

الكاتب المسرحي يهوشواع سوبول

يجب التمييز بين الوجودي والرمزي واللاجئ الفلسطيني يعيش مشكلة وجودية

يعتبر الكاتب المسرحي يهوشواع سوبول، أحد أهم كتّاب المسرح الاسرائيليين ، وقد أثارت مسرحياته جدلاً لجرأته في «ذبح بقرات مقدسة» والتطرق الى مواضيع اخترقت الاجماع الاسرائيلي في وقت مبكر في سنوات الثمانينيات مثل: بشاعة الاحتلال، وأنسنة الفلسطيني على المسرح الاسرائيلي، ورؤية نقدية للموقف اليهودي من الكارثة وغيرها، وذلك في مسرحيات، عرضت في البلاد والخارج، بينها: «الفلسطينية»، «سندروم القدس»، «غيتو»، «نفس اليهودي»، وفي هذه الايام تعرض مسرحيته الجديدة «التماسيح» عن حالة اليأس التي أصابت الاسرائيليين بعد انطلاق الانتفاضة.

التقيناه في بيته، في قيسارية وكان معه هذا الحوار:

*** ربما يصحّ أن نبدأ من الآن وهنا، وهما الاصعب على التعريف، فهل تساهم في تعريف الآن وهنا لتحديد الوضع الراهن؟.**

- بالتأكيد انه ليس وضعاً طبيعياً. فالآن وهنا الراهن يشكل عودة الى اوضاع واخطاء بدا لنا في السابق اننا تخلصنا منها. وحين اقول ذلك اقصد الاسرائيليين والفلسطينيين معاً. وفجأة عدنا الى نفس دائرة استعمال القوة والعنف التي سبق وتيقنّا انها لا تساعد في أي شيء ولم تحلّ أي شيء. أي أن الآن وهنا هما اشبه بوضع من علاقات لو قارناها بالمستوى الشخصي مليئة بالخصام المستمر الذي يعلم اطرافه انه لا يؤدي بهم الى اي مكان. قد اكون متفائلاً مقارنة بالمحيط الذي اعيش فيه، ولذلك اقول ان العودة على الخصام والاخطاء يعلمهم بعمق أكثر وبقوة أكبر ان الخصام نفسه لا يحل شيئاً، ولا يؤدي الى أية نتيجة. ومن هنا اعتقادي انه في ختام هذه الدائرة سيكون وعي أكبر لدى الاسرائيليين والفلسطينيين بضرورة التسوية التي يجب التوصل اليها. فالوضع الراهن أشبه بحالة مريض جرى تحليل وتحديد حالته المرضية، واقرار العلاج الذي يلزمه لكنه يرفض ان يقرّ بالامر، يرفض الدخول الى غرفة العمليات مع انه يعرف ان شيئاً لن يساعده، لان مرضه واضح.

يهوشواع سوبول

* ولد يهوشواع سوبول عام (١٩٣٩) في تل – موند وكان نشيطاً سياسياً في فترة شبابه، ضمن حركة «هشومير هتسعير». عاش كعضو في كيبوتس بين السنوات (١٩٥٧) حتى (١٩٦٥). ثم توجّه لدراسة الفلسفة في جامعة السوربون الفرنسية، ثم عاد ليدرّس في جامعة تل أبيب وفي معهد حركة الكيبوتس. «سيمنار هكيبوتسيم» ومعهد «بيت تسڤي» للمسرح.

* عُرف سوبول بمواقفه السياسية التقدمية من خلال توجهه المسرحي، ككاتب وكمخرج. مسرحياته عُرضت بشكل واسع في إسرائيل وأيضاً في أوروبا وأميركا، ونالت مسرحيته «غيتو» لقب مسرحية السنة في بريطانيا، وهي طرقت موضوعاً حساساً تجسّد في تعاون بعض اليهود مع النازية في معسكرات الإبادة في ألمانيا عند أربعينيات القرن الماضي.

* من أهمّ أعماله: «اليوم القادم» (١٩٧١)، جوكر (١٩٧٥)، «حروب اليهود» (١٩٨١)، «غيتو» (١٩٨٤)، فلسطينية (١٩٨٥)، «سندروم أورشليم» (١٩٨٨)، سولو (١٩٩١)، «عسل» (١٩٩٧)، واليوم تعرض مسرحيته «التماسيح».

* يعتبر سوبول أحد المسرحيين النقديين، من حيث حساسية مواضيعه وتوجهه السياسي الجريء. فعلى خلفية عرض مسرحية «فلسطينية»، في أوج الانتفاضة الأولى، توقف عمله كمدير فني لمسرح حيفا، وسط ردود فعل صاخبة وغاضبة والتي انتهت أحياناً بما يشبه المظاهرات.

* مسرحيات سوبول ترجمت إلى العديد من اللغات: العربية، الإنكليزية، الإسبانية، الفرنسية، الهنغارية، الألمانية، الإيطالية والتركية.

*** لقد ظهرت مؤخراً عدة كتب قدم فيها واضعوها تفسيرات مختلفة، جزء منها معقول، للوضع الذي وصلنا إليه. ولكن بتجاوز لهذه التفسيرات السياسية المباشرة وربما التقنية أيضاً، لماذا يرفض المريض الاعتراف بحالته؟**

– ربما لانه ليس مستعداً للانفصال عن مرضه. وأقول هذا بشكل متطرف جداً: المرض ليس مريحاً وليس لطيفاً وقد يكون خطيراً ومع ذلك يعيش المريض معه. فربما ان عملية العلاج تتطلب قطع هذا العضو أو ذاك، ما قد يجعل المريض يفضل حالته الراهنة على الحالة القادمة. فهو يعرف حالة المرض لكنه لا يعرف حالة التعافي. ولذلك فان المرضى الذين يطيقون مرضهم هم كذلك لانهم يعرفون كيف يعيشون معه. ولو اخذنا المجتمع الاسرائيلي بالاستناد الى هذه الاستعارة فانه يبدو كمن يخاف من السلام. وكالمريض الذي يخاف من التعافي هكذا الخوف من السلام. لماذا؟

لانهم يقولون انه اذا حل السلام فيجب تقديم تنازلات. وبالاضافة يخاف من انه عندها ستندلع الخلافات الداخلية والتوترات التي نجح في كبتها حتى الآن. ولا اعتقد ان هذا صحيح. لانه في وضع من السلام ستحل الخلافات الداخلية ايضاً، لسبب بسيط، ان جزءاً كبيراً من هذه الخلافات مرتبط بحالة الحرب. اليوم نرى اننا في وضع من اللاسلام واللاحرب، ويبدو ان هذا يثبت ما هو أخطر من الحرب. هذا وضع بين المرض وبين التعافي من حيث الاعتراف. فالمريض الذي هزمه المرض واعترف بوجوب العلاج، وضعه اسهل ممّن يصرّ على ان يبقى هنا وهناك. وهذا أخطر الاوضاع، لانه يخلق وهماً بامكانية ان يظل في هذه الحالة للأبد. وبرأيي، هذا هو السبب في تأجيل العلاج الاجباري.

*** تعال نتوقف عند مصطلح التنازل. انه ليس «متجانساً». فأين تراه يقع، بين أية حدود واقطاب، وهذا مع العلم انه مصطلح غير محبوب؟**

– بالطبع هو مصطلح غير محبوب لانه منوط بخطوات تخيف المجتمعين، الاسرائيلي والفلسطيني، في المجتمع الاسرائيلي من الواضح لي انه لا يمكن ان يقل هذا التنازل عن العودة الى حدود (٦٧)، ربما مع اصلاحات هنا وهناك، وبهذا الاتجاه او بالاتجاه المعاكس، لا فرق، واعتقد ايضاً ان الامر ليس واضحاً لي فحسب، بل لكل اسرائيلي «عقله في رأسه». فلا يمكن انجاز السلام طالما نسيطر على مستوطنات في عمق الارض الفلسطينية. يجب تفكيك المستوطنات.

الاّ اذا كانت الدولة الفلسطينية مستعدة لقبول سكان اسرائيليين يحملون الهوية الفلسطينية، مثلما ان هناك فلسطينيين يحملون الهوية الاسرائيلية اليوم. واذا اراد أحدهم هذا واذا كان من الممكن الاتفاق على الامر من الطرفين فلا ارى أي مانع في ذلك. ولا في ان يعيش يهودي في الاردن او مصر كمواطن. ولكن انا اعرف ان هذا غير وارد، ولذلك فالحل هو تفكيك المستوطنات. ونعلم ان هذه الخطوة تشكل تهديداً بحرب اهلية اسرائيلية. اقول تهديداً وليس حرباً فعلية. والمستوطنون يتمسكون بهذا التهديد وبالتالي يقبضون على الاغلبية الاسرائيلية في حالة من التهديد. هذا اشبه بحالة من العلاقات الزوجية. ترى طرفاً يمسك الآخر مهدداً: اذا تركتني فسوف انتحر! ونعلم انه في غالبية الحالات لا أحد ينتحر. وهكذا، فالتهديد بحرب اهلية يشكل وسيلة لتكريس هذا الوضع. بالاضافة فمن الواضح لي انه يجب التوصل الى تسوية حول القدس. وهذا واضح ايضاً لكل اسرائيلي يرى الوضع بجرأة. هذه المدينة مقسمة اليوم. هناك ضواحٍ كاملة فلسطينية ويجب تقسيم السيادة في المدينة. اذاً يجب تحقيق سيادة فلسطينية، من خلال الحفاظ على ما يشبه المبنى البلدي الشامل لادارة حياة اهالي المدينة كمدينة واحدة. فلا يمكن الاّ ان تبقى امور عديدة، كالخدمات البلدية، مشتركة. وارى ان هذا من مصلحة كل السكان. ومرة اخرى، المستوطنات هي مشكلة ملموسة مادية كونها تتطلب ازاحة سكان، اما القدس فهي مشكلة رمزية.

فهنا لا حاجة لتغيير شيء. وبرأيي ان المشكلة المادية الملموسة أصعب من تلك الرمزية. واعتقد ان العديد من الاسرائيليين، حين تأتي قضية تقسيم السيادة، سيقولون بغالبيتهم: ان المدينة مقسمة اصلاً ولا مفر من ممارسة هذا التقسيم. وهذا الوضع سيجعل حياة السكان أفضل. أما المستوطنات فهي قصة اخرى. هنا سيكون من الضروري نقل سكان. لا مفر من ذلك.

*** هل ترى تفاوتاً بين مجموعة المستوطنين أم أنهم كتلة واحدة؟**

– لا اعتقد انهم كتلة واحدة، مع ان الناطقين باسم المستوطنين الذين سيطروا على التعبير باسمهم هم المتطرفون. وهناك معتدلون لا يجرؤون على الكلام او انهم يفضلون عدم التحدث، واستبدال هذا بالعمل! وقد سمعت ان هناك حركة مغادرة من المستوطنات. ولو فرضنا ان هناك ضغطاً داخلياً على المعتدلين بعدم اعلان ما يفكرون به فيمكن القول ان هناك مجموعات تختلف عما يعبر عنه الناطقون باسم المستوطنين. هناك من ذهب الى المستوطنات بحثاً عن مستوى حياة اقتصادية أفضل. هؤلاء لن يظلوا هناك اذا عرضوا عليهم بدائل مشابهة.

*** مع أية مجموعة لديك مشكلة اكبر، تلك التي استوطنت بدوافع ايديولوجيا، ام مع الباحثين عن حياة أفضل في ظل جهاز احتلالي عسكري؟**

– لدي مشكلة مع كليهما. ولكن المشكلة الحقيقية هي مع دولة اسرائيل التي غضت الطرف في البداية عن استيطانهم، ثم بدأت بتوطينهم بشكل منظم. هذه مسؤولية الدولة. انا افهم ايديولوجيا المجموعة الايديولوجيا وارفضها بشكل مطلق. واعتقد ان هذه ايديولوجيا قومجية لا تأخذ بالاعتبار الطرف الآخر (الفلسطيني) ولا المصلحة الاسرائيلية أيضاً، وهي المصلحة التي تتطلب اقامة دولة فلسطينية منذ زمن بعيد. هذه هي المصلحة الاسرائيلية. اما من ذهبوا بحثاً عن مستوى حياة افضل فانهم يفتقرون للوعي. لا يعلمون ماذا يفعلون هناك. والحكومات استغلت هذا الوضع، واستغلت مرارات ضائقة السكان لتنفيذ الاستيطان. وأنا اذكر الفترة التي عرضوا فيها سيارة من نوع «فيات» على كل من يذهب للعيش في المستوطنات. كان هذا في بداية الثمانينيات ونشرت اعلانات بهذا الشأن في الصحف. أي أنه جرى اعطاء رشوة لتحقيق الهدف السياسي. هذا شمل استغلالاً واضحاً لمواطنين.

اذاً فالتسوية يجب ان تقوم على العودة الى حدود ٦٧، تفكيك المستوطنات وتقسيم السيادة في القدس. ومن جهة الفلسطينيين، برأيي انه يجب عليهم التنازل عن حق العودة الى داخل دولة اسرائيل. اعتقد ان هذا مطلوب من الفلسطينيين. وما اعلنه د. سري نسيبة مؤخراً وهو الاول الذي يقول ذلك بجلاء، بشأن الانفصال عن حلم العودة الى اسرائيل، هو أمر يفهمه كثيرون بهذا الشكل اليوم. وهكذا، يبدو لي ان الحل على الطاولة، ولكن الطرفين يقومان بتأجيله.

واعتقد انه يجب ان تقوم لجنة ولنسمها «لجنة المؤرخين»، مؤلفة من الطرفين، كي تخوض بشكل معمق في مسألة المسؤولية. لا يجب طرق هذا الامر الحساس بشكل احادي الجانب او بشكل ديماغوجي. يجب فتح الملف حتى النهاية: ما الذي أدى بهؤلاء البشر الى ترك بيوتهم واراضيهم؟

*** بالنسبة للامر الاخير بشأن حق العودة هناك خطابان. في الخطاب الاسرائيلي، المعنى هو «انسوا الامر»، أما في الخطاب الفلسطيني فالمطلب هو عدم اخفاء القضية. ربما ان عودة (٤) ملايين فلسطيني الى داخل اسرائيل غير واردة. لذلك فالفرق بين التوجهين، ان الاسرائيلي يقول «لا يوجد ما نتحدث عنه» بينما الفلسطيني يرفض ان يكنس القضية تحت السجادة. اذاً فما هو الحد للخوض في القضية؟**

من مسرحية «عمود الخشب»

– سأوضح كيف أرى الصورة، وبالطبع فأنا لا أمثل احداً. من تجربة التاريخ اليهودي، نعرف الفترة التي رافقت الحرب العالمية الثانية، التي هرب وطُرد اليهود فيها من اوروبا. الآن، الدول التي اعترفت بمسؤوليتها عن الكارثة بحق الشعب اليهودي مثل المانيا، وافقت على اعطاء جواز سفر لابناء الجيل الاول من اليهود الذين طردوا، وفي حدود معينة لاولادهم أيضاً، لم يجر الحديث عن اعطاء جواز سفر المانياً للاحفاد. بل جرى الاعتراف ان من طرد فعلياً من المانيا يحق له مواطنة. وهذا لا يشكل حق عودة كاملاً الى المانيا بل حق حيازة جواز سفر. أي انه حتى في الحالة المتطرفة التي تشمل مسؤولية مطلقة للطرد، هناك حدّ ما. لذلك يجب وضع عدد من المعايير: من هو اللاجئ؟ هل من طرد من هنا فقط؟ أم من تزوج معه أيضاً؟.

*** الطرف الفلسطيني ينتظر ان يقدم الطرف الاسرائيلي اقتراحه حول هذا الامر. ليعترف أن هناك مشكلة وليقول أن الواقع مركب. عندها يحين أوان الخوض في اسئلة التعريف.**

– صحيح. اعتقد انه يجب التصرف بهذا الشكل، والاّ فان الفوضى ستسود. وهذا يعطي الحق للطرف الآخر باعطاء التعريفات المختلفة، برأيي يجب التعريف وتحديد مكانة اللاجئ وقائمة حقوقه.

*** ربما انه لو جرى الاعتراف من الطرفين بحق العودة سيتغير الخطاب بأكمله. عندها يمكن القول انه الى جانب الاعتراف هناك تفاصيل. تشعر احياناً ان المشكلة في الصياغات، رغم وجود نوايا في الطرفين لحل القضية.**

– برأيي انه عندما يقدم أحد على حلّ أي نزاع أو صراع يجب التمييز بين مصالح حقيقية وجودية وبين مصالح رمزية. يجب تحديد ما هو الحقيقي وما هو الرمزي. وفي حالة اللاجئين، من الواضح ان من هرب او طرد العام (٤٨) وفقد بيته واملاكه ويعيش في مخيم لاجئين لديه مشكلة حقيقية. لا يمكن ان يظل دون مكانة مواطن في مكان ما. هذا الامر معترف به في كل العالم، وحتى لو مرت خمسون سنة فانه يستحق تعويضاً. اذاً يجب تحديد المشاكل الحقيقية. اما بالنسبة للرموز فبالامكان الخوض بها بشكل منفصل، لان من شأنها ان تعرقل حل المشاكل الحقيقية. فالرفض الاسرائيلي للاعتراف باللجوء واللاجئين هو رفض رمزي يمنع الخوض في الجانب الحقيقي والفعلي. هذا ينطبق ايضاً على القدس. هناك حوالي (٢٠٠) الف فلسطيني في القدس، ويحق لهم حكم مستقل. هذه المدينة تضم ايضاً مواقع ذات اهمية، دينية او قومية او غيرها، وهذا يتطلب حلاً. أما اصرار أحد الاطراف على فرض سيادته على كل المدينة فهو اصرار رمزي. فالاسرائيليون القومجيون الذين يرفضون أي تقسم في المدينة يتمسكون برمز في حين ان المدينة مقسومة أصلاً، في غير صالح الطرفين. اذاً فبعد تحديد المشاكل الحقيقية يجب البدء بها.

وفيما بعد يمكن الخوض في الجوانب الرمزية. ومن هنا رأيي انه يجب المباشرة بالجانب الحقيقي.

*** هل تميز بين الاعتراف بحالة اللجوء وبين الاعتراف بالمسؤولية عن حالة اللجوء، وكيف سيؤثر الثاني على المجتمع الاسرائيلي داخلياً؟**

– أولاً هناك تأثير بلا شك. الاعتراف بالمسؤولية يجب ان يتم تقاسمه. برأيي ان مسؤولية نشوء مشكلة اللاجئين تقع أيضاً على الدول العربية التي ارسلت جيوشها العام (٤٨) وبالتالي فهي تتحمل مسؤولية كجزء من مسؤوليتها عن نتائج الحرب.

المسألة مركبة جداً. هناك مواقع جرى فيها طرد الفلسطينيين بمبادرة اسرائيلية مثل اللد. لقد كان هناك طرد وهذا مثال فقط. ولكن هناك مواقع اخرى هرب منها السكان بأوامر من الجيوش العربية بادعاء تسهيل مهمتها الحربية. اذاً فمطالبة اسرائيل بتحمل المسؤولية المطلقة هو أمر غير صحيح برأيي. واعتقد انه يجب ان تقوم لجنة

ولنسمّها «لجنة المؤرخين»، مؤلفة من الطرفين، كي تخوض بشكل معمق في مسألة المسؤولية. لا يجب طرق هذا الامر الحساس بشكل احادي الجانب او بشكل ديماغوجي. يجب فتح الملف حتى النهاية: ما الذي أدى بهؤلاء البشر الى ترك بيوتهم واراضيهم؟

*** تعرف عن الابحاث والكشوفات التاريخية التي تزيد باستمرار من الدلائل والوثائق بشأن وجود خطة مبرمجة للطرد، منذ الاربعينيات الاولى. وبعيون فلسطينية تعني هذه الوثائق وجود خطة واضحة، ولتصبح مسألة ربط نشوء قضية اللاجئين باحداث حرب (٤٨) مشكوكاً بها.**

– انا اتردد في الخوض في هذا النقاش لانني لست مؤرخاً. ولكن بالنسبة للمواطن الاسرائيلي، اعترفت اسرائيل بقرار التقسيم بينما رفضت القيادة الفلسطينية القرار. أي ان الادعاء بوجود مؤامرة اسرائيلية، وان اسرائيل عرفت انها ستنتصر في الحرب ومن ثم تطبق خطة الطرد، هو ادعاء اشكالي. فحرب (٤٨) في شهورها السبعة الاولى كانت في غير صالح الطرف اليهودي. لم تكن الطرق تحت سيطرته، ولا القدس ولا الجليل. لقد كانت هذه الشهور مليئة بالضربات التي تلقاها الطرف اليهودي، وكان توقع الهزيمة رائجاً في صفوفه. ونعلم ان الملك عبد الله استعد ليصبح ملكاً على ارض اسرائيل وانه كان يستقر في القدس واقترح ان يكون اليهود في حكم ذاتي ثقافي ضمن المملكة. اذاً فامكانية الانتصار في حرب (٤٨) لم تكن مطلقة بالمرة. ربما ان ادارة دفة الحرب من قبل بن غوريون كانت افضل من الطرف العربي. واليوم، هناك حاجة للخوض بعمق في احدى أقسى نتائج الحرب، اللاجئين. وهناك مصلحة اسرائيلية في حلّ القضية ان كان في استيعاب عدد معين من اللاجئين الى داخل اسرائيل، هذا لا يخيفني شخصياً. أي انني متأكد من انه من الافضل للمجتمع الاسرائيلي استيعاب (١٠٠) الف لاجئ مثلاً، وهذا مجرد رقم اسوقه، في اطار توحيد عائلات واعادة من يمكن اعادتهم حتى من ناحية المعنى الرمزي للأمر. اذاً يجب الخوض في هذه القضية لانه لا يمكن التوصل الى حلّ من خلال رفض التعمق في الامر.

*** ربما يصح هنا التوقف عند السؤال المرتبط بالتاريخ، كالقضية التي نتحدث عنها. الى أيّ حد نقوم بقراءة الحاضر من الحاضر نفسه وليس من الماضي، وليس بوصفه تاريخاً بالمعنى المعروف للمصطلح، أيضاً؟**

مشهد من مسرحية «الليلة العشرون»

– مرة اخرى لست مؤرخاً ومع ذلك فقد انشغلت في عدد من مسرحياتي بمسائل تاريخية. واعرف ان كل طرف يبني قصته الخاصة، وليس فقط في قضية كبيرة كقضية اللاجئين. فاذا قام فلان بتجاوز الحدود وارتكب خيانة ستجد اطرافاً عدة تتحدث بروايات عدة. والمشكلة هي انه حين نحاول الاقتراب من هذه المشكلة يتوجب ان يتنازل كل طرف عن قصته، من اجل وضع قصة متفق عليها. قصة اخرى. ومن هنا اقتراحي بشأن «لجنة تاريخية»، لا اقول ذلك بغير جدّية، ليجتمع مؤرخون من كل اجزاء الطيف، لمحاولة بناء قصة تكون مقبولة بشكل او بآخر على الجميع. فالسؤال «ماذا جرى فعلا؟» هو سؤال معدوم الاحتمالات. ربما ان هناك شخصاً سمع عن مجزرة دير ياسين وقرر ما قرره. المشكلة ان القصة الحقيقية غير قائمة. والتاريخ هو قصة، ولمصلحة الحاضر يجب بناء قصة اخرى.

*** انت تتحدث عن خطوة ارادية ومخططة؟**

– نعم، وبرأيي هذا ممكن. انها ليست خديعة أو ايهاماً، هذا ممكن اذا قرر الطرفان بناء القصة. وكل قصة هي مبنية. ويمكن ان اعرض القصة الاسرائيلية المتطرفة: سيكون من الصعب على اصحاب هذه القصة التنازل عن فكرة ان كل اللاجئين هربوا بعد تلقي أمر بذلك من القيادة العربية، وعن فكرة «اننا لم نفعل شيئاً». سيكون من الصعب جعلهم يتنازلون عن هذه الافكار، ولكن بالامكان محاولة اقناعهم، بواسطة تعليم مجدد وتوعية، يمكن وضع قصة مفصلة أكثر، ليس استبدال القصة القائمة باخرى شبيهة، بل بقصة اغنى بالتفاصيل

والاحداث والحقائق.

*** ولماذا لا يحتفظ كل طرف بقصته، ويعترف الآخر بحقه في ذلك، ويقبل الطرف أن قصة الآخر لا تلزمه رغم شرعيتها؟.**

– المشكلة ان هذه القصص تصل الى طاولة المفاوضات.. وستظل الامور آخذة بالتدحرج والتطور. فكل طرف يأتي مع ما يؤمن به. ولذلك اقول انه يجب الفصل بين الجوانب الرمزية والحقيقية، رغم صعوبة الامر. فللقصص قوة سحرية. الاسرائيلي سيحدثك عن المعاناة اليهودية والضحية اليهودية، وهو يأخذ اولاده الى اوشفيتس (معسكر الابادة النازي) ويعيدهم الى البلاد ويخلق المقارنة بين الوضعين. ونحن نعلم كيف ان القصة القومية تخلق الاستعداد للمحاربة والموت وقتل الآخرين. ولذلك يجب القيام بشيء. واعتقد ان قسماً من عملية السلام سيكون بناء قصة اسرائيلية – فلسطينية، قوية. فالقصة لن تأتي بقرار، ولكن ربما من خلال الاصغاء والحوار وتبادل الافكار ستتبنى هذه القصة. فاذا فتح التلفزيون الاسرائيلي شاشته للقصة الفسلطينية، وبالعكس، ستكون امكانية للاصغاء ولتوسيع الرؤيا. ولذلك لا يمكن انتظار السلام حتى نبني هذه القصة، بل على العكس، السلام هو البداية.

*** القصة التي تتحدث عنها: أهي قصة اسرائيلية، أم قصة يهودية أم صهيونية أم يهودية اسرائيلية؟**

– هذا سؤال بحجم عملاق! سأبدأ من النهاية: اعتقد انه حان الوقت لرواية قصة اسرائيلية، وليس يهودية أو صهيونية. يجب ان نبدأ بالتفكير اسرائيلياً اذا اردنا الحفاظ على هذا المكان. والفروق بين هذه الحالة وسواها من الحالات تكمن في ان للهوية الاسرائيلية حضور قوي حتى بين العرب الفلسطينيين في اسرائيل. فانا لا يمكنني ان افكر باسرائيل بمعزل عن الجليل ووادي عارة ودالية الكرمل. فالقصة الاسرائيلية تشمل كل الوضع المركب الذي يضم يهوداً وفلسطينيين ومسلمين ومسيحيين، ومن يعيش بعقد زواج مدني، وازواج مختلطة...الخ. أي ان هناك تركيبة في الهوية الاسرائيلية تتجاوز الهوية اليهودية المطلقة... وفقط الآلهة تعلم ما هي هذه الهوية اليهودية المطلقة! لان النقاش داخل المجتمع اليهودي حول اليهودية هو اذا ما كان الدين اليهودي هو اليهودية أم انه جزء منها فقط.

فانا انسان علماني، جزء من الاغلبية الكبيرة غير المتدينة في اسرائيل. وأرى في نفسي يهودياً ومرتبطاً بالتاريخ اليهودي، وانا اسرائيلي وهذا يشمل حقيقة اني اعيش مع فلسطينيين اسرائيليين. ولست مستعداً للتنازل عن هذا، ولا احلم ان تكون هذه الدولة يهودية نظيفة لا سمح الله. فالغنى في الدولة يعود الى انها مؤلفة من تعددية لمجموعات ليس بالضرورة انها مرتاحة لوجودها الواحدة مع الاخرى. ومع ذلك تعيش معاً. وكلها تساهم في هذا الشيء المسمى اسرائيل.

*** سيتهمونك الآن أنك من مناصري ما بعد – الصهيونية!**

– (يضحك) كلاً، حتى اني لست ما – بعد صهيوني. فالصهيونية كان لها معنى طالما لم تكن هناك دولة. وكان هناك نقاش كبير اذا ما يجب توجيه الهرب اليهودي من اوروبا الى ارض اسرائيل أم الى اماكن اخرى. فاليهود هربوا من اوروبا بشكل واسع، واليوم بعد (٥٤) سنة لم نتعود بعد على التفكير الاسرائيلي. اسرائيل مؤلفة من حضور واضح لعناصر عدة. والعربي الفلسطيني جزء من هذا، وحضوره يزداد ويجب ان يزداد اكثر. مثلاً بتحقيق مساواة اكبر في شتى المجالات، ولذلك فمن مصلحة الكيان الاسرائيلي ان يتخلص من كافة اشكال التمييز وان يحقق مساواة في التوجه لشفا عمرو والناصرة مثلما للخضيرة. فالمجتمع الاسرائيلي الراهن مجتمع مريض. مريض بالتمييز ومريض بالعنصرية، لا شك في هذا. والتفكير الاسرائيلي يجب ان يتعاطى مع هذه العنصرية وينظفها ويشفيها، هذا برأيي هو تفكير اسرائيلي.

*** بالاستناد الى ما قلت، جزء من هذا التفكير الاسرائيلي ان يطرح فلسطينيون السؤال حول هوية الدولة. ما رأيك بمجرد طرح السؤال؟**

– مرة اخرى، يجب ان نميز بين الجانب الحقيقي وبين الجانب الرمزي.. مثلاً لو ان طمرة ينقصها عدد من غرف الدراسة فان المشكلة حقيقية وهذا لا يرتبط بتعريف الدولة. في هذه الحالة لا يهمني كيف يعرّفونها، ليعرفوها كما يشاؤون. هذه المشكلة تجد حلّها فوراً. لان الدولة، أية دولة، يجب ان تكون ملزمة بتوفير الحقوق لكل مواطنيها. بعد ذلك، السؤال بشأن طرح سؤال هوية الدولة، أهي – يهودية ام دولة كل مواطنيها اقترح تأجيله قليلاً لصالح المستوى الحقيقي والقضاء على كافة اشكال العنصرية في الدولة. اصلاً، اعتقد ان هذا السؤال محلول مسبقاً. لانه بدأ يزعج العديد من اليهود وليس العرب فقط. انه يزعج الازواج المختلطة الذين ينشغلون بهوية ابنائهم. هذا السؤال يرتبط ايضاً بفصل الدين عن الدولة وجعلها دولة علمانية، ككل دولة

من مسرحية «سندروم أورشليم»

علمانية. انا اريد ان يكتبوا في خانة القومية لديّ «اسرائيلي».

*** تقول عملياً ان طرح السؤال من وجهة نظر مدنية يظل أخف وطأة من حيث صعوبة تلقيه، من ان تطرحه مجموعة قومية اخرى؟.**

– احياناً قد يشكل طرح مطلب ما، رغم شرعيته، في ظرف لم يتم فيه حل مستويات اخرى، تهديداً للمطلب نفسه. قد يقيم ضدك عداءً من مجموعة الاغلبية، ممن قد يعتقدون انك «تسحب له الدولة من تحت رجليه». وهذا في الوقت الذي تتغير فيه الامور أصلاً. فتحقيق المساواة الحقيقية للاقلية العربية سيفضي بسهولة الى اعادة تعريف القومية الاسرائيلية. سيطرح السؤال عن معنى ان تكون اسرائيلياً. ما معنى ان تكون يهودياً واسرائيلياً او عربياً واسرائيلياً؟ اعتقد ان كل شخص يمكنه عندها ان يختار هويته. مثلما في الولايات المتحدة: كن ما تريد، ولكن الدولة يتوجب عليها توفير حقوق مواطن كاملة لك، بمعزل عن الاسئلة الاخرى. عندها اذا كانت الدولة هي دولة اسرائيل فأنا اسرائيلي.

*** عملياً هذا هو مطلب الفلسطينيين. ان تكون الدولة جهازاً مدنياً بمعزل عن العنصر الديني او الايديولوجي. فالتمييز المدني المستمر منذ خمسين عاماً سببه قوة العنصر غير المدني.**

– السؤال هنا: من اين نبدأ؟ اذا جئت بالمطلب لتغيير هوية الدولة تقيم عليك عداء الغالبية اليهودية بادعاء انك تريد القضاء على هذه الدولة كدولة يهودية. ومع ان هذا غير صحيح اصلاً، ولكن لنترك هذا الآن، يظل السؤال كيف تطرح القضية؟ برأيي انه من الناحية العملية هذه الدولة تسمي نفسها اسرائيل، اذاً فاكتبوا في هويتي أني اسرائيلي. وممنوع للدولة ان تسأل أي سؤال آخر حول أي انتماء آخر، لان هذا ما يفتح الباب للتمييز. وهذا ما يجب النضال ضده، كونه يخلق جبهة عربية – يهودية في مركزها الادعاء ان الانتماء الاثني والديني غير مهم في هذا السياق المدني، والامور الدينية لتحلها وزارة الاديان، ولكن ليس الدولة بأكملها.

*** ولكن المشكلة ان الدولة غير معرّفة في نواحٍ اخرى. الحدود مثلاً؟.**

– دولة اسرائيل طلبت اعتراف دول العالم بها في اطار حدودها حسب قرارات الامم المتحدة. ولذلك ففي نقاشي مع اليمين الاسرائيلي أؤكد لهم انهم يحفرون تحت وجود الدولة حين يقولون «لقد احتلّينا هذا وهو لنا»، لانهم عملياً يلغون الاعتراف الذي نالته الدولة من العالم في حدودها. فنحن طلبنا الاعتراف بنا كدولة معرّفة ذات حدود. ولذلك

لا يوجد اي سبب او مصلحة لوجود حكم اسرائيلي خارج حدود (٦٧). أما بشأن تعريف هوية الدولة، فانا اطالب بتغيير تعريف هويتي داخل الدولة. مثلما انه لو كنت في الدنمارك سأكون دنماركياً، سواء أكنت عربياً أم يهودياً.

*** ربما تقصد ان تكون اسرائيل دولة كل الاسرائيليين.**

– نعم، أوافق.

*** وعندها لن يعود أي دور أو مكانة خاصة لليهودية في الدولة.**

– لا يوجد لها أي دور اصلاً، دورها الوحيد اليوم هو امتصاص خزينة الدولة.

*** كيف يجب ان يكون التعاطي مع «حق العودة» في هذه الحالة: كقانون هجرة ام قانون يعطي تميّزاً ومواطنة فورية لليهودي مهما كانت ظروفه؟.**

– اعتقد ان اعطاء المواطنة الفورية لم يساعد المجتمع الاسرائيلي، فالعديدون استغلوا هذا، صحيح ان الدولة قامت في حينه تحت الانطباع بان اليهود مطاردون ومهددون، ولكن حين لا يواجه اليهود أزمة أو ضائقة لا يهاجرون اصلاً. هذه الامور تستدعي وقتاً حتى تخلق تغييراً في الوعي وفي التشريع.

*** يجب الاشارة الى حقيقة ان اسرائيل استوعبت في السنوات العشر الاخيرة مليوناً من غير اليهود. نصفهم من المهاجرين الروس غير اليهود، والنصف الآخر هم العمال الاجانب. ومع ذلك لم نسمع صيحة كبيرة، ولكن كلما جرى الحديث عن (١٠٠) الف فلسطيني فان الرفض والخوف يصبحان جماعيين تقريباً.**

– نعم، وبتوجيه سليم وحكيم كان يجب توعية الاسرائيلي البسيط بهذه الحقائق والقول له: أنظر لقد استوعبنا مليون انسان غير يهودي، هل شعرت بهذا، هل ازعجك؟ هل يقلقك مسرح «غيشر» (مسرح روسي)، الذي يضم ممثلين غير يهود؟ بالنسبة للعمال الاجانب فهم يعيشون في اوضاع غير انسانية. وبعد (٢٠) سنة سيخرج كُتّاب من بينهم، وعندها سيرى الاسرائيليون صورة بشعة لهم لم يحلموا بها، ستكون صورة غريبة جداً وستكّون صورتنا.

لقد كتبت مسرحية تعرض في مسرح «هبيما» (تل ابيب) عن مسنّ كان يعمل في الهستدروت، وقد سافرت ابنته الى الولايات المتحدة لتدرس بعد ان وجدت عاملة فلبينية تعمل مساعدة لوالدها الذي يفقد ذاكرته. العاملة لديها صديق افريقي وهو يأتي لزيارتها. المسن يعتقد احياناً ان العاملة هي زوجته واحياناً انها ابنته، يتكلم معها ويصرخ عليها. وحين يكون صديق العاملة الافريقي في البيت يظن انه في الولايات المتحدة في حي «هارلم». فابنته هناك وهو يظن انه معها. وهو يستغرب باستمرار كيف ان احداً لا يتكلم العبرية بشكل صحيح. لقد عرضت هذه المسرحية اكثر من (٣٠٠) مرة، والاسرائيليون يرونها ويضحكون لانهم يعرفون تفاصيلها عن قرب. ومن هنا ارى حضوراً كبيراً للعمال الاجانب، في الحياة العامة، وفي الحياة اليومية لكثيرين، وكما قلت، فهم ليسوا يهوداً ومع ذلك هم جزء من الحالة التي نعيشها. هذا يجسد عملياً اتساع الهامش الاسرائيلي وهذه ظاهرة مهمة جداً. الهامش هو مكان الانساني في المجتمع الاسرائيلي. يدخله كل من لا يجد له مكاناً في المركز. نفس القضية عالجتها في المسرحية التي ستعرض قريباً «التماسيح». وهي تتحدث عن عدد من الشخصيات تعيش على الشاطئ، شابان عربيان، وروماني وضحية من حرب لبنان. ويأتي اليهم جندي. في مرحلة ما يتعرف الجندي على شابة ويمكثان في المكان. وحين يحين الوقت ليعود الجندي الى وحدته العسكرية تتمسك به الشابة لمنعه من المغادرة. ويصل الامر بها حتى محاولة الانتحار. هنا يتدخل الشابان العربيان لانقاذها وبعدها يقرر الجندي البقاء معهم. في مرحلة ما في نهاية المسرحية يقول الروماني انه يشعر بانه يجب ان يحك جسده. ويبدأ بحك جسده وكذلك الباقون، وتنتهي المسرحية بأن يساعد كل واحد الآخر ليحكّ جسده.

*** بالعربية هناك مثل «حكّلي بحكّلك».**

– نعم، ولا ادري كيف سيتقبل الجمهور هذه المسرحية. لأن موضوعها وقصتها غريبان، مع ذلك اعتقد ان «الاسرائيلية الجديدة» يؤلفها الهامش الذي يبنى ويتسع باستمرار، انه قصة انسانية لتجارب مختلفة لاشخاص بعيدين عن المركز، غير شركاء في الحلم السائد، لديهم تساؤلات عن هويتهم، وهكذا فان هذا الهامش يتحول رويداً رويداً الى ما يشبه المركز البديل الاسرائيلي، وهو اكثر انسانية من المركز المتعارف عليه. هذا المركز البديل يتحول الى مركز فعلي اذا جرى التعاون بين مركباته. فالعمال الاجانب وحدهم لن يتمكنوا من فعل شيء. والامكانية هي أن يتطور وعي الهامش في الاسرائيلي لخلق مصلحة مشتركة. كقوة سياسية وكقوة تغيير اجتماعي. وعندها لن يعود المركز هو الذي يقرر الهامش، بل على العكس، الهامش هو

الذي يقرر المركز.

*** أحد الامور المهمة هو اللغة، فالعربي يعرف العبرية ويستعملها ويمارسها يومياً. ويمكنه ان يفهم انه يعيش في ثقافتين ورغم الوضع السياسي الصعب فالعربي يعيش مع اللغة العبرية. وهذا بالتالي يسمح له بالعيش مع اليهودي «العبري» وهو يعيش في حدود الاقلية. وهنا يمكن طرح السؤال عن الوضع المعاكس بشأن علاقة اليهودي بالعربية؟.**

– بالتأكيد هناك فشل كبير في جهاز التعليم والتربية الاسرائيلي في انه لم يجعل من تعلُّم العربية ومعرفة العربية هدفاً بأفضلية عالية. انا مثلاً تعلمت العربية في المدرسة ولكن كان ذلك جزئياً. ولذلك فقد نسيت معظم ما تعلمته. اليوم قررنا زوجتي وأنا تعلم اللغة العربية. ورغم التأخير أرى الأمر ممكناً وانا متأكد من اني سأعرف اللغة. وبرأيي انه يجب كشف اليهود على اللغة والادب والثقافة العربية. فهذه ليست مجرد لغة أخرى، بل انها لغة مرتبطة بعمق بهذا المكان. ولكن المشكلة اننا عشنا في بيئة خلقت اغتراباً مع اللغة العربية بمرور الوقت، خلافاً لما ساد لدى الجيل الماضي. فوالدي عرف العربية وتحدث بها مع اصدقائه ومعارفه ممن عمل معهم. وخلال أحداث (٣٦)، كان قائد مجموعة عربي اسمه عبد القادر عبد الرازق. وقد تعرف والدي عليه. وفي احدى المرات دعاه اليه الى البيت، وارشده كيف يصل. وقد روى لي والدي كيف انه ذهب لزيارته رغم الاوضاع الخطيرة والخوف السائد. هذه القصة تدل ان الجيل السابق كان اكثر وعياً وانتباهاً من الجيل الحالي. فقد كان هناك هدف واضح جداً في الجهاز الرسمي لخلق اغتراب بين المجتمع اليهودي وبين المحيط العربي. وهذا يدل على غباء وجهل كبيرين، واعتقد انه حين تسود حالة سلام هنا، فقد تنشأ علاقة في الشرق الاوسط اشبه بالحالة الاوروبية. وهذا مرتبط بما قلته حول المشاكل الحقيقية. مشكلة الماء مثلاً تتطلب جهوداً مشتركة وتعاوناً يفوق الدولة الواحدة. وهذا ينطبق على موارد أخرى. فالمشاكل الحقيقية ستجبر الجميع على التعاون. وهذا سوف ينشئ بالطبع حالة اكثر انفتاحاً، سواء من الناحية الثقافية ام النفسية، واعتقد ان عنصر حب الاستطلاع والفضول سيساهم في هذا، ويظل الامر طبعاً بحاجة الى تسريعه من الناحية السياسية.

صدر عن « مدار »

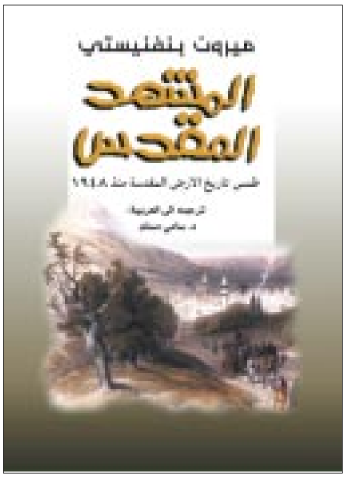

كانون الأول ٢٠٠١

صدر عن « مدار »

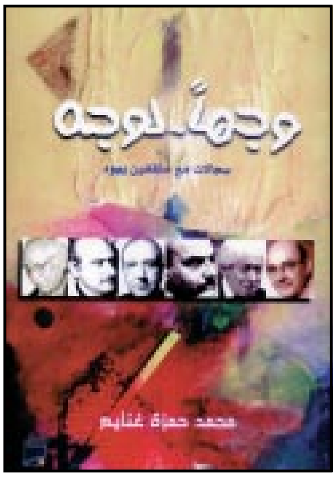

كانون الأول ٢٠٠١